إضاءة

علّق المفكر الجزائري مالك بن نبي شروط المقاومة والنهضة على فكرة تحدث تركيباً من عناصر ثلاثة هي: التراب والزمن والإنسان. والثقافة هي التي تحدث هذا المركّب، ومن دونها تظل العناصر مشتتة وبلا فاعلية. ولعل هذا ما يفسر هجوم قوى الغزو على عنصر الثقافة

محمد الأسعد

الإبادة الثقافية ما زالت مستمرة

قيثارة محطمة وهوية ولغة

الإبادة الثقافية موضوع لم تتعرف عليه الثقافة العربية إلا منذ سنوات قليلة. ومع أن هذا النوع من الإبادات شهدته عدة بلدان عربية، من العراق إلى اليمن، وكان مثوله واضحاً لا سبيل إلى إنكاره، وصدرت عدة كتب تتناوله في اللغات الأجنبية التي يتباهى عرب كثيرون في إجادتها، بل والتغني بمحاسنها، ظلّ بعيداً دلالة ومفهوماً عن التداول، سواء في الفضائيات العربية التي تزحم الفضاء أو في الخطابات التي تردد قاعاتُ المؤتمرات أصداءها، إلى أن صدر كتاب «أميركا والإبادات الثقافية» لمنير العكش (2009)، فكان الأول من نوعه في أجواء الثقافة العربية، والأول في توثيقه لأحداث تدمير حياة أهالي الأميركيتين واقتلاعها من الذاكرة التي قامت على أساس فكرة جاء بها معهم أوائل المستعمرين الإنكليز نسجوها حسب قول الكاتب «من لحم فكرة إسرائيل التاريخية، فكرة احتلال أرض الغير، واستبدال شعب بشعب، وثقافة بثقافة وتاريخ بتاريخ».

قبل ذلك كان هذا الموضوع ينزوي تحت عنوان سرقة الآثار، أو نهبها، ولا يحظى حتى هذا العنوان باهتمام واسع على صعيد الرأي العام، وإن حظي بظل بعيداً عن الاندراج تحت عنوان «الإبادة»، ربما لأن الآثار كنزات ثقافي ظلت إلى عهد قريب، على رغم انتشار المتاحف، وتدريسها كمادة علمية في الجامعات، خارج نطاق الوعي الجمعي. وأتذكر أن فلاحاً عربياً من بلد تبلغ فيه التلال الأثرية الآلاف عدداً تفاخر أمامي ذات يوم أن محراثه اصطدم ذات يوم بعمود أثري، فسارع إلى طمره، بل وصبّ عليه برميلاً من الإسمنت حتى لا تكتشف السلطات أمره، ويحدث ما لا تحمد عقباه! أي أن تستولي الدولة على الأرض، وتعتبرها منطقة آثار يجب حمايتها كما قال.

موضوع الإبادة الثقافية، يكاد يكون ممارسة حديثة نسبياً حسب أحدث كتاب وضعه الأكاديمي الأميركي لورنس ديفدسون بالعنوان ذاته (2012)، ولكن هذا التوصيف يفتقر إلى الدقة، لأن عودة بالذاكرة إلى الوراء تظهر أن الإبادة الجماعية، أي إبادة الأجساد، والإبادة الثقافية كلاهما، مارستهما القوى الاستعمارية في القرون الماضية وفي الأزمنة الحديثة على حد سواء. وليس كتاب «القارات المسروقة: غزو ومقاومة في الأميركيتين» (1992) للباحث البريطاني/ الكندي رونالد رايت، سوى واحد من الكتب المعنية بالغوص عميقاً في القرون الماضية، وكشف أفظع ما تعرضت له شعوب الأزتك والمايا والإنكا والشيروكي والإيروكوا من إبادة لثقافاتها بتدمير مكتباتها ولغاتها واستعباد سكانها.

ولا يختلف ما تمثله شواهد هذه الإبادة في الزمن الراهن عمّا مثلته شواهد العصور القديمة، إلا في نوعية الجيوش وشاراتها. فهنا بدلاً من تلك، تُجنّد فرق «علماء» إناسة وعلم اجتماع ونفس، تلحق بهم فرق موت وفرق نهب وسلب، بعضها يتخصص بتدمير المساجد والكنائس، وبعضها بسرقة محتوياتها، ومحتويات المتاحف والمجموعات الخاصة، والكتب والمخطوطات والمشغولات المعدنية والحجرية واللوحات الفنية وكل ما تطاله اليد، وبعضها يتخصص بملاحقة العلماء من مختلف التخصصات قتلاً وتشريداً. وخصص لورنس ديفدسن في كتابه المشار إليه أنفاً فصلاً للتدمير الممنهج الذي اتبعه ويتبعه المحتلون الصهاينة للثقافة الفلسطينية، إما بالقضاء على شواهدها المعمارية والاستيلاء على مصادرها من كتب ووثائق، أو بانتحال منتجاتها. وتذكر أخبار الأيام الأولى التي احتل فيها الغزاة الصهاينة القدس عسكرياً في العام 1967، أن سيارة سوداء تسللت وفيها عدد من اللصوص «الخبراء»، ووقفت أمام المتحف الفلسطيني، وهبط منها هؤلاء ودخلوا قاعات المتحف؛ كانت الغاية الاستيلاء على مئات المخطوطات المسماة «لفائف البحر الميت». ولحقت بها بالطبع موجودات المتحف الأخرى. ولا تنسى العاصمة اللبنانية سرقة المحتلين الصهاينة لمحتويات «مركز التخطيط الفلسطيني»، في ما يمكن اعتباره استمراراً لسرقة ونهب محتويات المكتبات الخاصة في فلسطين عبر فرض مناهج تعليم تلغي من ذهن الفلسطيني أي أثر لوطنه في الماضي والحاضر. ويعرض كتاب «القيثارة المحطمة: الهوية واللغة» لإيرلندي توموس أوين الصادر في عام 2014، ما تعرضت له اللغة والهوية الإيرلندية من إبادة، كإحدى أكثر نتائج الاستعمار البريطاني المتعدد الوجوه خبثاً لشعب إيرلندا منذ القرن السادس عشر. وهناك كتاب مؤثر للكاتب الاسكتلندي الاستر ماكنتوش عنوانه «روح وتراب» (2001)، يتناول فيه إبادة الثقافة الاسكتلندية التي بدأت مع الاحتلال البريطاني في القرن السابع عشر لاسكتلندا، لغة وتقاليد وأقاصيص وتاريخاً، وتشريد الاسكتلنديين بعد الاستيلاء على أراضيهم وقتل المدافعين عنها، ومسيرة قوافلهم نحو الشواطئ وركوب السفن إلى المنافي البعيدة، في مشهد يذكر بتشريد الشعب الفلسطيني واقتلاعه من أرضه.

(شاعر وروائي وناقد من فلسطين)

نائب مدير «المتحف الوطني العراقي» ببغداد إثر تخريبه ونهبه بعيد الاحتلال الأميركي، 13 نيسان/إبريل 2003 (Getty)

الإبادة الثقافية مفهوم حديث نسبياً في الكتابة حوله

كانت الإبادة الثقافية تنزوي تحت عنوان سرقة الآثار

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

رأس القائمة

صحيح ان القتل الجماعي ترافق مع الإبادة الثقافية طوال تاريخها، إلا ان إبادة الارواح ظلّت تحتل راس القائمة، والتي تعني إبادة مقومات الثقافة، مثل اللغة والموسيقى والروايات. بل وعدّ عتاة الاستعماريين نجاحهم في الهيمنة واخماد اي مقاومة رهين نجاحهم في تدمير هذه المقومات الثقافية واثبت تجارب مقاومة التسلّط والغزو ان المتسلطين والغزاة لا ينتصرون ما داموا يعجزون عن كسر ارادة المقاومين، اي تدمير ارواحهم.

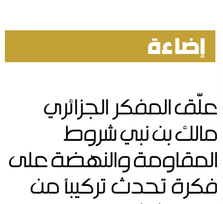

قصائد

خوان خوسيه ثيبا حيث تتخاصم أمواج البحرِ

شجرة البُكاء الصّلب

ترجمة وتقديم **جعفر العلوني**

يلمسنا الضوءُ جميعاً ليذكّرنا بشيءٍ جوهريّ، بشيءٍ أهمّ وأعمق من كوننا مجرّد كائنات حيّة ضمن شبكة التفاصيل الحياتيّة المعقّدة والدّقيقة التي تُحاصِرنا. النّهاري مع الضّوء رحيلٌ وهجرة، فهوَ يتطلّب منّا ترك صورتنا، الآنا الخاصّة بنا، وهذا سفرٌ يحتّم علينا التحلّي بقوّة وإرادة من أجل التغلّب على ألم الوجود في عالم خاضع للروابط العاطفيّة والماديّة. غير أنّ هذا بدوره يقتضي منّا حالات جسديّة ونفسيّة غير مستقرّة على طريق التحوّل الدقيقة والواضحة، والمفهوم العميق الذي تتردّد فيه الصوفية وتتراقص الروح الأندلسية.

خوان خوسيه ثيبا Juan José Ceba شاعر وكاتب إسباني من مواليد المرية عام 1951، عمل مدرّساً في كلّ من برشلونة والمرية. وهو أيضاً رسّام وناشط كبير في الحياة الثقافية لمدينة المرية. تخصّص في أعمال لوركا ودرس علاقته مع مدينة المرية. على مدى عقود نشر العديد من المؤلّفات الشعرية، نذكر منها: «كتبان» (1991)؛ «كن في الضوء» (2017) الذي اخترنا منه هذه القصائد، وهي أول ترجمة من شعره إلى العربية.

في جسد الضوء، يلتقي الحبيبان، في البذرة والثمرة. ومن أجل هذا اللقاء لا بدّ من نسيان الظرفيّ والمكانيّ. وفي هذه العناصر الأساسيّة (الكلمة، الضّوء، الرمل والماء) يتشكّل الحبُّ ويأخذ شكله في صحراء لا تسامح. هنا تحديداً تكتمل القصيدة التي تستحضر الموت ولكنها تبني الذاكرة، هنا تحديداً يُعيد الجسد علاقته مع العدم ومع الخسارة.

باختصار، هذه هي ملامح القصيدة التي يكتبها الشاعر خوان خوسيه ثيبا: الإيقاع الصحيح، الكلمة المليء بالإثارة الموجّهة، في نهاية المطاف، نحو المتعة النهائيّة للاندماج الكامل مع الضّوء.

1
أذوبُ في الضوء، أحلُّ

أشربُهُ بعينيّ،
وأتأمّلُ مُنتشياً من زحفِهِ،
من جسدِهِ النّقي الذي
يؤكّدُ،
بخطفُ ويقرّب
عُريَ الجسدِ الدّافئ.
وحينَ يسقطُ في الهاوية،
عارياً،
نابضاً بالحياة،
كجذرٍ أساسيّ تحت قبّة السّماء،
كمادّةٍ قويّةٍ مصنوعةٍ من شمسٍ حيّة
أحنو إليه مَجذوباً للجوهر،
لجمالٍ عميقٍ يكشفُه ويرحل.
وسأرحلُ في هذا اللّهب،
في مُعجمِ ريشِه المُلتهب،
سأموتُ في هذا الكشفِ الأبيض.
ما أنا غير هذا الضوء الشّارد
نحوَ الجبلِ الضّائع؟
ما أنا غير هذه الطّاقة الكامنة
في سرير النّبض الأوّل؟
ما أنا غير هذا الضّوء،
قشرة أو رماح،
تُوقِظُ العالمَ ليُغنّي؟
هكذا أندمجُ بالضّوء،
وأخرجُ -
أرى نفسي أغنيةً تَجُولُ
في أفواهٍ تُشربُ الدّفءَ
وإيقاعَ الأرض
وكلّ ما عليها من صغيرٍ وجميل.
هكذا أبدأ-
أغنّي،
ومُحترقاً في فجرٍ جديد،
أكونُ.

2
أدخلُ معَ الفجر

من بابِ حُلُمِكِ في الرَّمل،
من بابِ الذّاكرة
حيثُ تُتخاصمُ أمواجُ البحرِ
على شواطئِه المُدوّية.
وأجدُكِ هناك تنتظرينَ
صامتةً وعارية،
صوتاً قادماً من بعيد،
منَ العُمق،
صوتاً نقيّاً كانَ مُختبَئاً،
صوتاً أفلتَ
لكنّه الآنَ عادَ ينبضُ
وردٍ منْ ماءٍ
وجنّاتٍ جديدة.

3
من أجلك

أحببتُ كلّ ما تُحبّين:
بهجةَ الصباحِ وهي تنمُو في المرايا.
أيّها الحُبُّ:
غُبَرَ الرُّوحِ
التي تذهبُ مع الضّوءِ
كطائرٍ يلهَث.

4
انزلْ نحوَ الأسفل

إلى القاع،
ضَعْ بلسَماً
على جمرِ قلبك.
ليس الرَّمادُ إلّا بعثُك.

5
عطرُ الفجرِ يفوح،

ينتشر،
يُعلنُ أنّ
زمنَ الموتِ لم يحنْ بعدُ.
وفيما تتراقصُ
أوراقُ زهورٍ مُخمليّة،
ينبثقُ من جرحِ الصّباحِ
الشّاطع
لونُ الدّمِ القادم.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

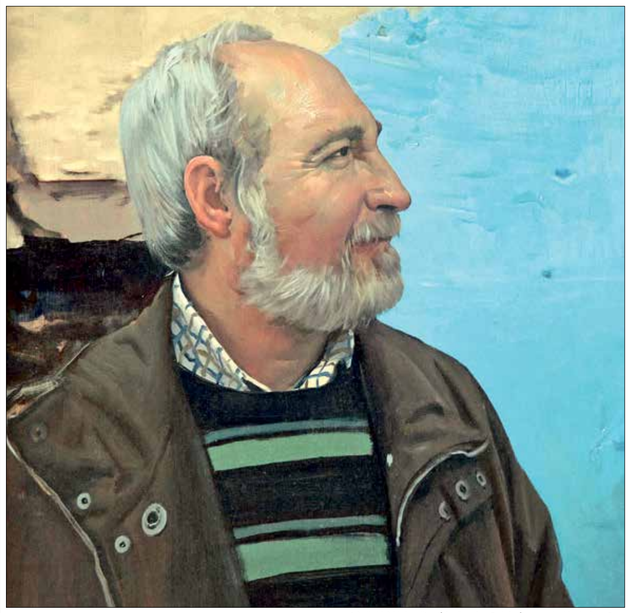

بورتريه لـ خوان خوسيه ثيبا، زيت على قماش. (الدرا عارلايا إيانيث)

معرض

كتب ومخطوطات نادرة في قاعة طه باقر

ألف عام من الوثائق البغدادية

يضمّ المعرض الذي تقيمه «دار الكتب والوثائق الوطنية» في بغداد مئات المخطوطات في الفقه والادب والشعر واللغة والسياسة، ولوحات ورقعاً خطية

بغداد ـ **العربي الجديد**

في ضوء تصاعد الدعوات إلى صون المدوّنة العربية الإسلامية التي امتدت من عصر التدوين وحتى اختراع الطباعة، من خلال رقمنتها وحفظ مؤلّفاتها التي يتهدّدها التلف بفعل الإهمال والحروب والكوارث الطبيعية، افتتحت «دار الكتب والوثائق الوطنية» بوزارة الثقافة العراقية، معرضاً للكتب والمخطوطات النادرة، يوم الأحد الماضي، يستمر حتى نهاية إبريل/ نيسان الجاري.

المعرض الذي يقام في «قاعة طه باقر» ببغداد، يأتي بالتزامن مع يوم المخطوط العربي، ويسعى إلى التركيز على إجراءات الصيانة وحفظ المخطوطات العراقية من الاندثار والتخريب الذي استمر على مدى عقود، حيث تمّ فقْد وحرق آلاف النسخ منها خلال العدوان الثلاثيني على العراق عام 1991، في العديد من المؤسّسات مثل مكتبة الأوقاف ومخطوطات الآثار.

كما عانت «دار الكتب والوثائق الوطنية» بعد الاحتلال الأميركي، حالة من التسيّب وتجاهل المؤسسات الرسمية، ما أدى إلى تعرّض العديد من الخطاطات إلى سوء التخزين نتيجة عدم توفر المعايير المناسبة لدرجة الحرارة والرطوبة والضوء، قبل أن يعاد النظر في هيكلة الدار وعمليات الترميم والبيات الإقتناء وغيرها.

يضمّ المعرض مئات المخطوطات التي تصل اللغات المكتوبة فيها إلى ثماني لغات، هي: العربية والتركية والفارسية والسريانية والعبرية والإنكليزية والفرنسية والألمانية، وتتعدّد مجالاتها بين الفقه والأدب والشعر واللغة والسياسة والتصوّف، إذ يعود أقدمها إلى ألف عام مضت.

وأوضحت الدار أنّ هذه المخطوطات لها طابع تاريخي يتمثل بتنوّع الخطوط العربية التي ألّفت بها مثل الكوفي والثلث والديواني وغيرها، وطريقة الكتابة والورق المستخدم وكذلك الأحبار التي توضّح تطوّر صناعة الكتب في العراق خلال العصور الماضية.

وتضمّ الأعمال المعروضة العديد من اللوحات والرقع الخطية والزخارف التي خطّها العديد من الخطّاطين العرب والمسلمين، إلى جانب صفحات من القرآن كُتبت بخطّ الإمام علي بن أبي طالب، ومصحف بخطّ الوزير ابن مقلة يعود إلى بدايات القرن الرابع الهجري، وعدد من المخطوطات التي تعود إلى القرون الثلاثة الأولى للهجرة، وأخرى كُتبت بعد انتشار الورق في بغداد عام 174 للهجرة (790 ميلادية).

كما تُعرض أقدم نسخة من «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد (كتبت سنة 556 هجرية)، وكذلك ديوان ابن أبي الحديد، وهو أحد أبرز كتّاب المعتزلة الذين تولّوا مناصب عليا زمنَ الخليفة العباسي المستعصم، ونسخة من ديوان الحماسة الكبرى لأبي تمام كُتبت سنة 504 هجرية، ونسخة من «كتاب رسوم القضاة»، وأخرى من «كتاب الشروط وعلوم الصكوك» لأبي النصر السمرقندي، اللذين كُتبا سنة 509 هجرية.

من المخطوطات ما كُتب بُعيد انتشار الورق ببغداد عام 174 للهجرة

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متخصصات يرقمن مخطوطاتٍ تالفة في «دار الكتب والوثائق الوطنية» في بغداد (Getty)

فعاليات

الكون السمياني: الأساس النظري والمردودية التحليلية عنوان محاضرة يلقيها الباحث المغربي **عبد الله بريمي** (الصورة) عن بُعد، عند الثانية بعد ظهر اليوم بتنظيم من «مختبر الدراسات الأدبية واللسانية وعلوم الإعلام» في «كلية الآداب فاس». يقدّم بريمي نظريات السميولوجي الروسي يوري لوتمان.

في «غاليري عبد العزيز القرجي»، في تونس العاصمة، يُفتتح بداية من السابعة من مساء اليوم معرضٌ جماعي تحت عنوان **فضاء الداخل: كتب الفنانين**. يشارك في المعرض كلٌّ من: **رشيدة عمارة**، و**هالة عمّار**، و**نجاح زربوط**، و**اسماء بن عيسى**، و**محمد بن سلطان**، و**مريم بودربالة**، و**فريال زواري**، و**محمد امين حمودة**، و**فريد الأخضر**، و**هالة لامين**، و**ايمن مباركي**، و**دريد سويسي**.

ينظّم «معهد الدراسات اليونانية من أجل الديبلوماسية الثقافية»، بداية من الخامسة من مساء اليوم، محاضرة بعنوان **ميراث الثورة الفرنسية في حرب الاستقلال اليونانية** لـ**اوليفييه ديلورم**، الذي يدرّس في «مدرسة العلوم السياسية» في باريس ويُعدّ من ابرز الباحثين الفرنسيين في تاريخ اليونان.

تنطلق غداً، الثامن من نيسان/ إبريل الجاري، الدورة الخامسة من «ملتقى بيروت السينمائي»، الذي تنظمه جمعية «بيروت دي سي»، ويُقام هذا العام افتراضياً، علماً أن دورة العام الماضي قد تأجّلت. يهدف الملتقى لتوفير فرص انتاج مشترك لأفلام روائية ووثائقية بين المنتجين والمخرجين العرب المستقلين.